أحاديث موجهة لأعلام الفكر الصوفى :

# سيادة الأستاذ صلاح الدين السلجوقى

## سفير الأفغانستان يقول ..

- التصوف هو طريق العلم الإسلامى إلى الوحدة والقوة .
- مجتمعاتنا فى حاجة إلى أخلاقيات التصوف ومثالياته .
- الحلاج هو الصورة الكاملة للصوفى وللانسانية .
- التصوف هو التخلق بأخلاق الله سبحانه

فى الصالون الشرقى الجميل ، بدار السفارة الأفغانية بالقاهرة ، وفى ذلك الجو الهادىء الوادع المعطر بأنفاس العلم ، المشرق بإشعاعات الروح والإيمان الجو الذى تشعر بنقائه والهامه ، وبشىء فوق النقاء والإلهام ، ينبثق وينطلق من النفس الإنسانية المطمئنة المشرقة بنور ربها ، النفس التى صقلها التصوف حتى رقت وصفت وزكت فخلقت فى عالم الجمال والكمال والخير ، الخير المطلق الذى يحيط بكل شىء ، ويترك طابعه وأثره على كل شىء .

ذلك هو إحساسى وشعورى ، وأنا أجلس إلى السفير العالم الصوفى الذائق ، السيد الأستاذ صلاح الدين السلجوقى سفير الأفغانستان أحدثه باسم قراء مجلة الإسلام والتصوف ، واستمع إليه لأنقل ما يقول إلى قراء مجلة الإسلام والتصوف .

وابتدأ الحديث .. وأحسست بأن محدثى يحلق فى أفق بعيد .. ويتصل بأفق علوى يمده بنشوة روحية مشرقة ، تجعل لكلماته سحراً ولنبراته عطراً ، ولقسمات وجهه نوراً .

وفى غمار هذه النشوة راحت عين السفير تدفع ، بل تذرف فيضاً من الدموع ، إنها دموع المحب العاشق الواله ، دموع الحب الإلهى . أزكى وأنبل وأعلى دموع تفتحت عنها جفون الإنسانية ، منذ اهتدت الإنسانية النبيلة إلى ربها ومولاها .

وأخذ السفير القلم من يدى وقال: دعنا منه الآن ، لا تسجل به شيئاً ، دعنا نتحدث أولا حديثاً خاصاً ، وطال حديثنا ، ومرت ساعتان ، ثم أمسكت بالقلم لأسجل به حديثاً آخر لقرائى .

تحدث السيد السفير عن التصوف كمكتب فكرى قديم عريق ، تمتد جذوره فى التاريخ إلى أبعد من أكاديمية أفلاطون .

إنه قطرة إنسانيه تلازم النفس وهى تتلمس طريقها إلى النور ، إلى الخير ، إلى الجمال ، إلى الله .

ثم جاءت الفلسفة بأسلوبها العقلى تحاول أن تصل إلى المعرفة فيما وراء الطبيعة ، فتحدثت عن الوجود المطلق ، والوجود فى عالم الأفلاك ، والوجود فى مرتبة التفرد ، والوجود فى مرتبة التعيين .

ثم استعاد التصوف مكانته مع الأديان السماوية ، ثم بلغ كماله فى الرسالة المحمدية .

لقد نشدت الفلسفة أن تعرف الله بالعقل ، لا بالحس ، وجاءت الأديان فأضافت إلى العقل العواطف كالخوف والرجاء ، وتخصص التصوف فى المعرفة عن طريق المحبة ، وانبثقت من هذه المعرفة المعانى الصوفية العالية .

المعانى التى انطلقت من الحب ومع الحب ، فالكون كله حب ، حتى أن الصوفى ليشعر أن فى الكائنات جميعاً عاطفة وحناناً ، وإحساساً وشعوراً .

يقول الصوفى الشاعر المحب :

« إذا فلقت قلب أى ذرة من الذرات ترى شمساً واضحاً »

يقول هذا قبل خمسة قرون من إهتداء العلم المادى إلى أن فى الذرات شمساً .

ويحس الصوفى بقلبه وذوقه وحسه أن الله معه قريب منه أقرب إليه من حبل الوريد ، ويحس بوحدته مع الطبيعة ، مع كل شىء ، يقول عبدالقادر بيدل :

« أى شىء يتمنى قلبى من هذه الحانة ، سوى حينما ضربت قدحى على الحجر ما كان الصوت إلا أنا »

ثم أمسك السيد السفير بقلمى ، وسبحنا معا فى الأفق الصوفى الأعلى ، ثم عدنا من هذا الأفق ، لنسأل السيد السفير .. ويجيب سيادته على أسئلتنا .

س : هل للصوفية عندكم طرق متعددة :

ج : للصوفية عندنا طرق كثيرة أشهرها وأكثرها عدداً ونفوذاً ، النقشبندية ثم القادرية وللتصوف فى بلادنا جلاله ومكانته ، ولعلماء التصوف الصدارة . يقتدى بهم ويهتدى بهديهم .

س : من هو أعظم شخصية صوفية تأثرتم بها .

ج : تأثرت بمولانا جلال الدين

الرومى ، وبفريد الدين العطار ، وعبد الرحمن الجامى ، وبشيخ شبسترى ، وأمير حسين السادات الهروى وجميعهم من أعلام التصوف ومن شيخوخة القدامى. وجلال الدين هو صاحب المثنوى أعظم الكتب الصوفية الفارسية ويلقب بقرآن فارس .

والشبسترى هو صاحب كتاب « حديقة السر » وهو أقوى الكتب الصوفية وأعلاها .

ومن تراث هؤلاء العباقرة ومن نماذج معارفهم العالية الأسئلة التى كتبها أمير حسين السادات الهروى إلى الشبسترى فى تبريز ، وجواب الشبسترى عليها .

وهى أحد عشر سؤالا وجهها الهروى إلى الشبسترى . وهاك نماذج منها .

١ — من أنا ؟ أخبرنى من أنا ، وما معنى القول سافر فى نفسك ؟

٢ — كيف انفصل المحدث من القديم فصار الأول إليها ، والثانى ترابا .

٣ — أى بحر صار العلم ساحله ، وأى جوهر أخرج منه ؟

٤ — إذا كان معروف العارف الذات الاطهر ، فما هذا الجنون فى رأس هذه الحفنة من التراب ؟

٥ — ما كان السر فى نكتة — أنا الحق — هل تتصور أنه كان مهملا هذا السر المطلق ؟

من هذه الأسئلة تدرك الأفق الرفيع من العلم ومن المعرفة الصوفية الأفق الذى عاش فيه هؤلاء العباقرة.

ولقد كانت أجوبة الشبسترى عليها تحليقة فى نفس الأفق العالى .

ومن نماذج هذه الأجوبة .

« . . إذا كنت تشاء أن ترد على السؤال فلك أن تأخذ الصغرى والكبرى والنتيجة والحد الوسط ، وكثير من هذه القواعد التافهة وهذا ليس إلا عصا لك تحرك مثل الأعمى إلى الطريق .

فليس لك يوما من الأيام أن تترك العصا كموسى ، وتدخل فى الوادى الأيمن . وترى هناك شجرة تقول أنا الحق ، وإذا كانت الشجرة لها الحق أن تقول — أنا الحق — فلم لا يكون هذا الحق لى .

« أنا الحق » هو كشف للسر المطلق. فمن هو يقول أنا الحق إلا الحق.

ما كان منصور الحلاج يقول أنا الحق . إنما كان الحق هو الذى يقول أنا الحق »

س : مارأى سيادتكم فى الحلاج ومحيى الدين ، والبسطامى ، والشطح الصوفى

ج : الشطح الصوفى ليس شطحاً ، الصوفى له صحو وسكر ، وكل ما يخرج منه من سكره يكون شطحاً لا يأخذ به .

وفى السكر يقول « العراقى » إن أول رحيق أراقوه فى الكأس استعاروه من عين الساقى السكرى:

ويقول شاعر آخر : « قد أسكر القوم دور كأس ، وكان سكرى من المدير »

وهى معان تذاق بالروح وبالوجدان وبالحساسية الصوفية فحسب .

إن الصوفى يتخيل أن الجمال طائر طار من شرفة العرش المعلى الإلهى ، ونزل وخفض بجناحيه إلى الأرض .

فهو حينما ينظر إلى الجمال يحسبه قدسيا إلاهيا مجرداً عن المادة وعن الغرائز ، ولذلك ينحنى عنده ، ويطغى عليه التحير والتبجيل والغيبوبة — أى السكر

والحلاج عندى صورة كاملة للصوفى وللإنسانية وحافظ الشيرازى يقول عن الحلاج على خشبة الصلب — أنا الحق — وأمثال هذه النكت لا يسأل عنها مثل الإمام الشافعى ؟

والصوفى شجاع والحلاج الصورة الكاملة للشجاعة الصوفية .

حينما أخذوا فى تقطيع جسده ، كان يأخذ دمه ويتوضأ به ، وحينما سئل ما تصنع قال : ركعتان فى العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم !!

أى بطولة ، وأى شجاعة ، لقد تغنوا بحوث سقراط البطولى ولكن أين موت سقراط من استشهاد الحلاج ؟

ومحى الدين أستاذ عظيم ، ولكن إذا قارناه بالحلاج .. كان محيى الدين نظرياً وكان الحلاج عملياً .

س : ماهى رسالة التصوف الإسلامى كما تراه سيادتكم .

ج : عندنا شيئان ، المذهب والمشرب والمشرب التصوفى فى عقيدتى ، أجدر وأحسن وأنفع لكل شخص .

هو مشرب الذرة ، ومشرب الحب ، ومشرب الوحدة .

هو الذى يجمع بين الطبيعة وما بعد الطبيعة ، وبين الكائنات العليا والسفلى ، والحية والغير حية ويرتفع بالشخص إلى أوج بعيد عن المضايق والعصبيات والتفرقات والتشعبات .

ويتسلح فيه الفكر والعقل بسلاح أخف وأسرع ، ويجعل من الحب والحنان مرهما لجروح التنافرات والتباغضات والاختلافات وما إلى ذلك .

ويوحد الشعوب والمذاهب ، وفى عقيدتى إذا كان يعم التصوف والفلسفة الخلقية ، وفلسفة الجمال يكون نافعاً لمجتمعاتنا الحاضرة .

س : هل نفهم من ذلك أن المشرب الصوفى غير المنهج الإسلامى ؟

ج : للاسلام خاصية ليست فى الأديان الإسلام درجات لأنه دين عام للناس كافة .

بعض الناس يعبدون الله خوفا من ناره وطمعاً فى جنته . وذلك منتهى إدراكهم وإيمانهم

وفوق ذلك درجة ، من يعمل ابتغاء وجه الله ، ثم أعلى من ذلك التخلق بأخلاق الله .

ثم هناك عبادة عليا ، عبادة مجردة ليست لها غاية ، هى عبادة التصوف . . الوظيفة لأجل الوظيفة .

ان الصوفى متخلق بالخلق الإلهى ، وكما يرزق الله عباده مثلا لا بغاية ، وإنما لأنه رزاق ، كذلك يعبد الصوفى ربه ؛ لا لغاية وانما لأن وظيفته العبادة .

الصوفى من لم ينظر الى الدنيا والآخرة ، الصوفى عاشق لوجه الله الذى لم يره . الصوفى يقول انه وقف للجمال . الجمال الأزلى . الصوفى لا يخاف شيئاً . الصوفى هو الذى يجرد نفسه لله ... الله لأجل الله .

الصوفى يعتقد أن الله فى عالم الإطلاق ، فوق الفكر والعقل والتخيل .

الصوفى يرى الوجود الواحد ، يرى كبرياء الله ، وجلال الله ، وعظمة الله فى كل شىء .

إذا سال دمعه تذكر الله الغفار ، وهكذا يذكره كل شىء بالله ، فلا يرى إلا الله .

الصوفى لا ينظر إلى شيئين ، لا ينظر إلا إلى شىء واحد ، ولا يرى إلا شيئاً واحداً .

وفى القرآن إشارات واضحة إلى التصوف. «الله نور السموات والأرض» .. «أينما تولوا فثم وجه الله» .. «هو أقرب إليكم من حبل الوريد» . «وفى أنفسكم أفلا تبصرون»

والتصوف بمعناه الفنى نراه أول ما نراه عند رابعة العدوية. تحدثت رابعة عن الحب الإلهى، وعن لذة التعرف إلى الله.

وبعد رابعة، ازداد التصوف وتكشفت آفاقه أكثر فأكثر، حتى نرى قمته عند منصور الحلاج ومحيي الدين ابن عربى.

أما أبو القاسم الجنيد فكان يجلس فى الصومعة يوما، وفى المسجد يوما آخر.

فلما دخلوا عليه بالوثيقة التى أعدت لقتل الحلاج وهو فى الصومعة، رفض إمضاء الوثيقة وقال عنها: إنها ظلم وكفر.

فلما جلس فى المسجد ختم على الوثيقة وأقرها.

وبعد قتل الحلاج قام علماء الفقه مثل ابن تيمية وابن القيم، قاموا ضد التصوف وأثاروا حوله جدلا وغباراً.

ثم كانت هزيمة الدولة الفاطمية والأخطاء التى وقعت فيها، ضربة أخرى وجهت ضد التصوف

وتوالت الأحداث فانهزم التصوف فى البلاد العربية بينما ظل قوياً سائداً فى فارس والأفغان وشمال الهند وبقية أجزاء العالم الإسلامى،

ثم جاءت الطرق لتلوين التصوف، جاءت لتضيف إليه شيئاً يخفف من الحملة التى وجهت إليه.

جاءت لتقربه من الجماهير. جاءت لتضعه فى إطار يدل على الصورة.

تلك هى قصة التصوف، ومكانة التصوف من الإسلام، إنه قمته العالية، ورسالته السامية، إنه نبع صاف لا يضيره أن اختلط حينا بالتراب، أو مازجه حيناً ما يعكر من صفائه، إنما نحن نتحدث عن جوهره.

س: هل يستطيع التصوف أن يقود الإسلام من جديد؟

ج: نعم يستطيع التصوف أن ينهض بالعالم الإسلامى، وأن يعيد إليه أمجاده.

س : ما هى نصائحكم التى توجهونها لرجال التصوف فى هذا العصر المادى

ج : أقول لهم أن يتخذوا الله سبحانه وتعالى لهم قبلة وهدفا ومثالا ومركزاً للحق والخير والجمال .

وإذا سلكوا فى أى مسلك كان المنزل المقصود الأخير . هو الوصول إلى الله سبحانه ، والاتحاد شعورياً معه تعالى ، والتخلق بأخلاقه سبحانه .

وأقول لهم : إن التصوف هو قمة الفلسفة ، التصوف هو العلم ، والعلم ضالة المؤمن من السماء والأرض وكل شىء .

وأقول لهم : الصوفى له معرفة ذاتية ، كل أوقاته يسافر فى نفسه ، وكل الكائنات فى نفسه ، هو أكبر من الكائنات .

فالصوفى يرى كل الكائنات فى نفسه ، لا حاجة له أن يتجول أو يذهب إلى القمر ، إنه يتجول فى نفسه .

يقول — بيدل — : « سرنا فى الدارين ولكن مارحنا إلى منزل كان خارجا عن نفسنا » .

ويقول الله سبحانه : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

فهذا ينص على أن كل الكائنات موجودة فى الإنسان منطوية فى الإنسان ، لأن الإنسان متكون من تلك العناصر .

ولكن هناك فى الانسان شىء ليس فى العناصر وهو النفس التى ألهمها فجورها وتقواها .

فالانسان إذن هو العالم الأكبر خلافا لافلاطون الذى قال إن الانسان هو العالم الأصغر .

الصوفى هو مركز أو مجمع البحرين ، للدين والأخلاق .

والخص رسالة التصوف فى كلمتين ، الطاعة لأمر الله ، والشفقة على خلق الله :

فإذا عرف الصوفى مكانه ، عرف رسالته ، وعرف واجباته وقام بكل هذه الحقوق التى عليه لله ولنفسه وللانسانية كافة .

س : ما هى الحكمة الصوفية التى تتمثل بها دائماً فى حياتك .

ج : لقد وصلت بعد كل دراساتى إلى حقيقة أو حكمة آمنت بها وهى : إنى من الله وإلى راجع إلى الله .